

# صِرَاع

للشاعرة عزيزة هارون

وخلفي نعشي وعيد حزين كئيب  
يسائل ابن الرفاق وابن الصحاب وابن الحبيب  
ومن ذا يعيد الي الرجاء بان الحياة جميله  
وقلبي من كل زهر ونفسي عليه  
وتهتف بي ثورة طاغية أفلسي شكاتك يا جانيه  
تموتين كالزهر في الآنيه  
فيصرخ قلبي من الهاويه اريد الحياة ولو ثانيه  
وتخلق بي قوة للدفاع ويبدو لعيني لمع شعاع  
وانفصي عني هباء العدم لأحيا بكل وجودي  
وتنحل بعد انطواء الظلم جميع قيودي

عزيزة

دمشق

وكيف أموت وهل تنتهي حكايات عمري  
وزهري يفوح بعطري وكأسي نشوى ببحري

\*\*\*

أموت وأحلام قلبي تغني وتلتاع بعد التمني  
وتفنى بخيبة ظني

وتهتف بي ثورة جاحمه لماذا تموتين قبل الأوان  
فأسأل كيف يعيش الغريب وكيف أطيع صراع الزمان  
وتفقت كل المنى من يدي ويخضل جفن الزهور علي

\*\*\*

أموت وقبري هناك يضم زهوري  
فأرهب فيه مصيري  
ويصرخ قلبي أريد البقاء الا من شعاع يعيد الرجاء

ان يكون في القصيدة التي نتذوق ونسمع او نقرأ . هو في  
استجابتنا العميقة له .

عندما طالعت ديوان يوسف كانت تثيرني ايقاعات الاوزان  
الضخمة التي انتظمت فيها الالفاظ بسهولة وبروز معاً .  
وصورة باكية تدفني الى اخرى منتفضة تجحد الدمعة . وصورة  
قاسية الى اخرى عطوف رؤوم على النفس الانسانية ان تقبلها  
القسوة والحشونة . ومن هممة زلزال وقصفة بركان الى نغم  
النأي وشحوب المساء ، وذلك الحزن الملائكي الغني الذي  
يغلف روح المبدع .

وكل هذا من خلال حماس القارئ ، وانسيابه مع الشعر  
في لهفة قارئ الديوان في ساعه واحده متوترة ، ينبىء عن ان  
الاستجابة لديه عنيفة مخلصه متعاطفة مع كل ما يريد الشاعر  
حتى ليصبح هو الثورة والمارد والجبار واللاجي ، وكل  
النماذج الانسانية التي يعرضها هذا الديوان . وهي نماذج الشاب  
العربي اليوم إذ يشعر انه مسؤول ومجرم وطاهر . نحس من  
خلال هذه العاطفة الملجولة ان كل العالم العفن ، العالم العربي ،  
الاطار الحديدي لعلاقات الانبعاث ، كل هذا ينهار ، وان  
القيم الثورية هي وحدها اليوم التي تصنع شباب الطليعة  
وجيل الانبعاث .

فانه يجتمع في نفسه قدرة البركان على قذف كل الركام الزائف  
حول ذروته . وهنا يضع الشاعر نفسه -- تماماً كما يفعل شاعرنا  
الجاهلي -- موضع القدر المسير للامة :

ومشيئي قدرد على اقدامه تسمح الايام والاقدار  
وقرار هذا القدر قرار للامة كلها من خلال وجدانها :  
سأعود في الصبح الندي لموطني وغداً يرف علي جبيني الغار  
فالشاعر في كل هذا الديوان ليست مهمته مصورة . ان  
الفن هنا ملتحم تماماً بالحداء ، هذا الايقاع الذي هو صدى  
لحركة القافلة وموجه لها وقائد في نفس الوقت . وتلك انبل  
مهمة للشعر العربي . وذلك هو الالتزام الحقيقي الذي عرفه  
العرب ، منذ جاهليتهم ، في فنهم . ونحن نلج فيه كل صدق  
العفوية والبراءة والوعي الصحيح .

والقصيدة القومية معرضة للاسفاف والاصطناع ، ان لم يفذهها  
دائماً صدق الموقف الطبيعي للشاعر ، موقف قريب ابدأ من  
وجدان الامة ، فهي لا بد لها ان تجمع الفخر والرثاء وذكري  
الاجداد والتأكيد على البعث . ولعل الصور المعبرة عن كل هذه  
الموضوعات تكاد تتشابه لدى اكثر الشعراء القوميين الاصيلين  
والمزيفين . يبقى ان المقياس الذي تضعه في يدنا فنية شعرنا  
مقياس واضح ثابت لا يتزعزع وهو يكمن في نفوسنا نحن قبل